



تحليل سياسات

تطور الموقف الأميركي من النظام السوري:

من دعوات الإصلاح إلى التفاوض

تطور الموقف الأميركي من النظام السوري: من دعوات الإصلاح إلى التفاوض

سلسلة: تحليل سياسات

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | أبريل 2015

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2015

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص. ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	بداية مرتبكة
3	المطالبة بتنحي الأسد
5	"تغيير حسابات" النظام
9	تصريحات كيري.. هل من جديد؟
13	خلاصة

منذ اندلاع الثورة السورية منتصف شهر آذار/ مارس 2011، حافظ الخطاب الأميركي تجاه المسألة السورية على نسق معين، وإن اختلفت النبرة الدبلوماسية، صعودًا أو هبوطًا. تروم هذه الورقة رصد ملامح الخطاب السياسي الأميركي تجاه الثورة السورية خلال سنواتها الأربع السابقة، وصولًا إلى تصريحات جون كيري الأخيرة (15 آذار/ مارس 2015) عن "التفاوض مع الأسد".

بداية مرتبكة

على خلاف الثورتين المصريّة والتونسية، سارعت الإدارة الأميركية وفي اليوم التالي (16 آذار/ مارس 2011) لانطلاق أول تظاهرة احتجاجية في سورية لبلورة موقف منها، فطالب المتحدث باسم وزارة الخارجية آنذاك مارك تونر الحكومة السورية بالاعتراف بحقوق المواطنين السوريين في التظاهر بحرية، وبضرورة الاعتراف بالمطالب المشروعة¹. بدا واضحًا آنذاك أنّ تصريحات الخارجية الأميركية، وعلى الرغم من عدم وضوح المشهد ومحدودية المشاركة في الاحتجاجات، جاءت لتلافي انتقادات واسعة وجهت لإدارة أوباما، أثناء الثورتين المصرية والتونسية، بالصمت والامتناع عن اتخاذ موقف واضح من الاحتجاجات المنادية بالديمقراطية، وهو ما شجع الأنظمة الديكتاتورية على قمعها وأدى إلى سقوط مئات القتلى. وبناءً عليه، تصاعدت نبرة الخطاب الأميركي خلال الأسبوع الأول بشكل طردي مع اتساع الاحتجاجات وسقوط القتلى، فاتهمت الخارجية الأميركية (23 آذار/ مارس 2011) النظام بـ "ترهيب الشعب"، و"استخدام العنف والاعتقالات التعسفية لمنع ممارسة حقوقه الرئيسية"، وسارع وزير الدفاع الأميركي الأسبق ليون بانيتا، وبعد اقتحام الجامع العمري في درعا، إلى تحذير النظام من تداعيات سلوكه العنفي ودعاه إلى "الاستفادة من الدرس المصري"². كان لتصريح بانيتا وقعه آنذاك، خاصة بعد تهيؤ مجلس الأمن للتصويت على مشروع قرار عربي، يتيح التدخل العسكري في ليبيا ضد الرئيس

¹ "واشنطن تدعو الحكومة السورية إلى الامتناع عن استخدام العنف ضد المتظاهرين"، بي بي سي عربي، 2011/3/16، على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/03/110316_syria_update.shtml

² زياد حيدر، "شعبان مطالب الناس محقة، تشييع قتلى بدرعا وقرار بإطلاق الموقفين وإلغاء الطوارئ"، صحيفة السفير اللبنانية، 2011/3/25.

الليبي الأسبق، معمر القذافي، وهو ما أعطى انطباعاً باحتمالية تكرار الأمر ذاته في سورية. ومنعاً لأي التباس في ذلك الموضوع، سارعت إدارة أوباما إلى إجلاء موقفها، فاستبعدت هيلاري كلينتون، وزيرة الخارجية السابقة في 27 آذار/ مارس 2011، حصول أي تدخل عسكري أميركي في سورية، وبررت هذا الموقف باختلال الشروط والظروف الموضوعية للتدخل بين ليبيا وسورية، وبحسب كلينتون فإنّ القذافي استخدم "قواته الجوية ومدرعاته الثقيلة ضد المدنيين" وهو ما لم يحصل في سورية آنذاك، كما أنّ أعضاء الكونغرس، وبحسب كلينتون، يعدّون الرئيس بشار الأسد "رجل إصلاح"³. ومع أنّ كلينتون عبّرت آنذاك عن حقيقة موقف إدارة أوباما غير المتحمس للتدخل العسكري في الخارج، فإنّ الخطاب الأميركي كان محكوماً بمحددات ترتبط بالداخل السوري بالدرجة الأولى، فخلافاً للثورات الأخرى لم يطالب المحتجون السوريون بإسقاط النظام أو "الرئيس"، وانحصرت مطالبهم في الكرامة والحرية والإصلاح، وراهن كثير من السوريين على خطاب الرئيس الأول في مجلس الشعب لحل الأزمة وإجراء إصلاحات سياسية واسعة، وعلى هذا الأساس سعى الخطاب الأميركي للتماشي مع مطالب الداخل السوري، ففي اليوم السابق (29 آذار/ مارس 2011) لذلك الخطاب، أصدرت الخارجية الأميركية بياناً جاء فيه "أنّ الأسد عند مفترق طرق، وأنه منذ استلامه الحكم نفذ بعض الإصلاحات الاقتصادية، لكنه لم يقم بإصلاحات مهمة على المستوى السياسي، وأنّ واشنطن تحثّه على الاستجابة لحاجات الشعب السوري وتطلعاته"⁴. وكردة فعل المحتجين عليه، رأت الخارجية الأميركية أنّ "خطاب الرئيس بشار الأسد في مجلس الشعب يفتقر إلى المحتوى، وأنّه دون التطلعات الإصلاحية التي يريدها الشعب السوري"⁵.

طراً تغيير طفيف على الخطاب الأميركي بعد مجزرة الجمعة العظيمة 22 نيسان/ أبريل 2011، والتي قتل فيها أكثر من 100 شخص في عموم سورية، وارتفعت على إثرها شعارات في بعض المدن السورية تنادي بـ "إسقاط

³ "كلينتون تستبعد تدخلاً بسوريا"، الجزيرة نت، 2011/3/27، على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/167DBA07-193A-4953-A062-7B75928DBF29.htm>

⁴ "الأسد يلقي أول كلمة بعد الاحتجاجات"، الجزيرة نت، 2011/3/30، على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BC05D80B-FC48-47F6-9C72-3C33B7DCAF71.htm>

⁵ "أميركا ترفض خطاب الأسد ونظرية المؤامرة التي تحدث عنها"، الرياض السعودية، 2011/3/31، على الرابط:

<http://www.alriyadh.com/618732>

النظام"، وخيرت الخارجية الأميركية الأسد بين "فعل المزيد" للاستجابة لتطلعات الشعب أو "أن يسمح لآخرين بفعل المزيد"، وتالتت في هذا اليوم النبذة التصعيدية، إذ شكك الرئيس الأميركي باراك أوباما "بجدية" رفع قانون الطوارئ، ودان القتل العمد للمحتجين، واتهم الأسد بالسعي للحصول على المساعدة الإيرانية لقمع الاحتجاجات، ود "استخدام سياستهم الوحشية نفسها"⁶. وفيما سعت إدارة أوباما لتوائم نبرتها التصعيدية ضد النظام مع الشارع المحتج الذي صار يطالب بتغيير النظام حينها، فإنّ هذه النبذة عبّرت في مضمونها عن مناكفات وتنافس حول الملف السوري بين الديمقراطيين والجمهوريين داخل الكونغرس، ولا سيما أنّ السيناتور جون ماكين طالب في 28 نيسان/ أبريل 2011، أوباما بدعوة "الأسد للتتحي"، كونه "فقد الشرعية" بسبب لجوئه إلى الحل العسكري⁷.

المطالبة بتتحي الأسد

دفعت العمليات العسكرية التي بدأها النظام في درعا وحمص آخر نيسان/ أبريل 2011، الإدارة الأميركية، إلى تصعيد نبذة خطابها وإجراءاتها تجاه النظام ولا سيما بعد الأمر التنفيذي الذي أقره أوباما بوضع أسماء سبعة مسؤولين سوريين على رأسهم الرئيس السوري بشار الأسد على قائمة العقوبات الأميركية⁸، كما أنه وابتداءً من شهر حزيران/ يونيو 2011، ركّز الخطاب الأميركي على "شرعية الرئيس بشار الأسد" التي، وبحسب تصريح هيلاري كلينتون، "إن لم تكن انتهت فقد شارفت على الانتهاء"، وبأنّ "الرئيس السوري لم يعد له أي دور يؤديه لمنع الانهيار الكامل لنظامه"⁹، وحسم أوباما في 12 تموز / يوليو 2011، خلال مقابلة تلفزيونية مع (شبكة سي بي أس) الأميركية، الموقف بعد سلسلة من التصريحات المبهمة حول هذه المسألة قائلاً: "إن الأسد فقد شرعيته لعجزه عن إنجاز التحول الديمقراطي"، لكنه امتنع عن مطالبة الأسد بالتتحي، وأعاد اتهامه بطلب

⁶ "البيت الأبيض يدعو إلى إنهاء العنف"، الاتحاد الإماراتية، 2014/4/23، على الرابط:

<http://www.alittihad.ae/details.php?id=38537&y=2011&article=full>

⁷ "سيناتور يدعو لتتحي الأسد"، الجزيرة نت، 2011/4/29، على الرابط: <http://bit.ly/117a6Xv>

⁸ "واشنطن تفرض عقوبات على الرئيس السوري وأركان نظامه"، بي بي سي عربي، 2011/5/18، على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/05/110518_usa_assad_sanctions.shtml

⁹ "سورية: دعوات لمزيد من التظاهرات و克林تون تقول إن شرعية الأسد 'شارفت على الانتهاء'، BBC (العربية)، 2011/6/3، على

الرابط: http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/06/110602_syria_eastan_fifteen_killed.shtml

مساعدة إيران للاستمرار في عملية القمع ضد المحتجين، في حين صرحت كلينتون في اليوم ذاته بأنّ "الولايات المتحدة لا تتمنى بقاء الأسد في السلطة"¹⁰.

وخلال الأشهر الخمسة الأولى من الثورة السورية، وعلى الرغم من ارتفاع حدّته، فإنّ الخطاب الأميركي رهن على النظام ورأسه لإجراء إصلاحات لحل الأزمة، وتجنّب كل ما من شأنه أن يفسر على أنه موقف مغاير كالتلويح بالتدخل العسكري، وفي الوقت ذاته سعى لإعطاء انطباع بانشغال الإدارة الأميركية بالملف السوري، وتتسيقها مع حلفائها لضمان الوصول إلى حل سياسي، إذ لم يمر يوم دون بيان أو تصريح للخارجية أو البيت الأبيض عن سورية، يتحدث عن ضرورة التغيير الديمقراطي "السلمي" بقيادة النظام ورئيسه، وصولاً إلى تصريح لأوباما (18 آب/ أغسطس 2011)، دعا فيه الأسد للتحي قائلًا: "إنّ مستقبل سورية يجب أن يحدده الشعب السوري، لكن الرئيس بشار الأسد يقف في طريقه. دعوته للحوار والإصلاح لم تلق صدى في حين يسجن شعبه ويعذبه ويذبحه. ومن أجل الشعب السوريّ حان الوقت كي يتتحى الأسد"¹¹. جاءت دعوة أوباما بعد يومين من تصريح وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون التي استبعدت في 16 آب/ أغسطس 2011 أن تطلب "الولايات المتحدة من الأسد التحي في المستقبل القريب"¹²، وهو ما فتح الباب أمام سلسلة من التناقضات في الخطاب الأميركي الصادر عن هياكل صنع القرار.

كانت الولايات المتحدة أولى الدول التي تدعو الأسد للتحي، قبل أن يلحق بها الحلفاء الإقليميون؛ تركيا (16 أيلول/ سبتمبر 2011)، والسعودية وقطر (12 كانون الثاني/ يناير 2012)، وقد جاءت الدعوة السابقة أثناء توقيع أوباما عقوبات إضافية ضد النظام، وهو ما أعطى انطباعاً بأن الضغط الدبلوماسي والاقتصادي هو نهج أوباما في التعامل مع النظام السوري، فما عدا تصريحات متفرقة تحدثت عن "أنّ جميع الخيارات قيد الدراسة"، فإنّ خطاب إدارة أوباما ركّز على عبارة رئيسة لطالما تكررت خلال عامي 2011، و2012 وهي: "إنجاز التغيير الديمقراطي السلمي" بقيادة أو بمشاركة من النظام، لأنه وكما أوضح مساعد وزير الخارجية جيفري

¹⁰ "أوباما: الأسد فقد شرعيته"، الجزيرة نت، 2011/7/13، على الرابط:

<http://aljazeera.net/NR/exeres/3E7B5A97-CB9C-458B-8998-C337B0DED27B.htm>

¹¹ "أوباما يدعو الأسد للتحي"، رويترز، 2011/8/18، على الرابط:

<http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE77H0UZ20110818>

¹² "كلينتون: الولايات المتحدة لن تطالب حالياً بالاسد بالتحي"، موقع قناة المنار، 2011/8/17، على الرابط:

<http://www.almanar.com.lb/adetails.php?fromval=2&cid=36&frid=23&seccatid=36&eid=92886>

فيلتمان (10 تشرين الثاني/ نوفمبر 2011): "يصب في مصلحة الولايات المتحدة"، كما أنه، وفقاً لتصريحات هيلاري كلينتون "يمنع اندلاع حرب أهلية طويلة"¹³. خلال عام 2012، ركّز الخطاب الأمريكي على دعم المبادرات الرامية إلى إيجاد حل سياسي (المبادرة العربية، وخطة كوفي عنان، وبيان جنيف 1، وإن لم يعن ذلك أنه لم تقع نقاشات داخل الإدارة الأميركية حول ضرورة تسليح المعارضة السورية المعتدلة. فخلال ذلك العام، وبسبب تعنت نظام الأسد سياسياً، وضع رئيس وكالة الاستخبارات الأميركية السابق، الجنرال ديفيد بتريوس، خطة لتسليح قوات من المعارضة السورية مختارة بعناية عام 2012، وحظيت بدعم كل من كلينتون، ووزير الدفاع بانيتا، ورئيس هيئة الأركان الأميركية مارتن ديمبسي، غير أن البيت الأبيض رفضها بذريعة القلق من تورط أميركا في حرب طويلة، ووقوع الأسلحة بالأيدي الخطأ¹⁴.

تغيير حسابات النظام

تغيير حسابات الأسد وإقناعه بالتناحي عبر عملية تفاوضية مع المعارضة ممثلة بالائتلاف الوطني وتدعمها روسيا كانت أهم مرتكزات الخطاب الأمريكي بعد تعيين السيناتور جون كيري وزيراً للخارجية، ترجمت بحراك دبلوماسي واسع عبر مؤتمر روما، إذ نجح كيري في إقناع المعارضة بحضوره تمهيداً لقبولها بصيغته المقترحة للحل¹⁵. وقال كيري (28 شباط/ فبراير 2013) إن: "المعارضة السورية ستعتمد خياراً سياسياً، وافقت عليه روسيا ويتمشى مع خطتها للفترة الانتقالية. ويتمثل هذا الخيار في تشكيل هيئة تنفيذية مع سلطة كاملة. وإن

¹³ "كلينتون لا تستبعد حرباً أهلية بسوريا"، الجزيرة نت، 2011/11/19، على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/56AE2597-2360-4B44-93D4-F51613D23C4A.htm>

¹⁴ Michael R. Gordon & Mark Landler, "Senate Hearing Draws Out a Rift in U.S. Policy on Syria," *New York Times*, February 7, 2013, at: http://www.nytimes.com/2013/02/08/us/politics/panetta-speaks-to-senate-panel-on-benghazi-attack.html?_r=0 ; Jon Swaine, "Leon Panetta supports Hillary Clinton plan to arm Syrian rebels", *The Telegraph*, February. 7, 2013, at:

<http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/9856382/Leon-Panetta-supports-Hillary-Clinton-plan-to-arm-Syrian-rebels.html>

¹⁵ "جون كيري يحث المعارضة السورية على حضور مؤتمر روما"، بي بي سي عربي، 2013/2/25، على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/multimedia/2013/02/130225_usa_kerry_syria

هذا هو المسار السلمي للتغيير، والذي من شأنه أن يوحد الشعب السوري"¹⁶.

بعد اجتماع كيري - لافروف، واتفقهما على عقد اجتماع في جنيف يجمع المعارضة والنظام على طاولة مفاوضات واحدة لتشكيل هيئة انتقالية، ساد تفاؤل كبير في الخطاب الأميركي عن إمكانية حل الأزمة عبر التفاوض مع روسيا، وفي هذا السياق قال كيري بعد لقائه لافروف في 15 أيار/ مايو 2013: "كلانا متفائلان جدًا جدًا بأن الأمور ستستقر في وقت قصير بحيث سيكون للعالم بديل عن العنف والدمار الذي يحصل في سورية حاليًا"¹⁷.

لكنّ تغييرًا طفيفًا طرأ بعد معركة القصير، وتدخل حزب الله واستخدام النظام الكيماوي أكثر من مرة ما دفع الرئيس أوباما (13 حزيران/ يونيو 2013)، إلى الإعلان عن نيته تسليح المعارضة السورية دون أن يخرج عن عناوين "تغيير الحسابات"¹⁸، لإقناع الأسد بالتفاوض على حل سياسي، وظل محكومًا بها حتى بعد استخدام النظام الكيماوي (21 آب/ أغسطس 2013)، وقرار أوباما توجيه ضربة عسكرية له، فقد أعلن المتحدث باسم البيت الأبيض جاي كارني (29 آب/ أغسطس 2013) "أنّ أي تحرك أميركي سيكون للدفاع عن مبدأ أنّه يجب عدم استخدام أسلحة كيماوية، وهدفه ليس إبطاء الأسد على الرغم من الدعوات الأميركية السابقة لرحيل الرئيس السوري". وأضاف "أريد أن أوضح أنّ الخيارات التي ندرسها لا تتعلق بتغيير النظام"¹⁹، وهو ما أكدّه أوباما أيضًا عندما صرح في 30 آب/ أغسطس، أنّ: "الرد العسكري على استخدام الكيماوي سيكون محدودًا ودقيقًا"²⁰.

¹⁶ "كيري: المعارضة السورية ستتخذ مسارًا سياسيًا"، بي بي سي عربي، 2013/2/28، على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/multimedia/2013/02/130228_syria_friends_kerry

¹⁷ كيري ولافروف، "متفائلان حول التوصل لبديل سلمي في سوريا"، بي بي سي عربي، 2013/5/15، على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2013/05/130515_syria_kerry_lavrov_hopeful

¹⁸ "President Obama's Bilateral Meeting with His Majesty King Abdullah II of Jordan," The White House, Office of The Press Secretary, February 14, 2014, at: <http://www.whitehouse.gov/photos-and-video/video/2014/02/14/president-obamas-bilateral-meeting-his-majesty-king-abdullah-ii-jo#transcript>

¹⁹ "الولايات المتحدة تريد معاقبة الأسد وليس الإطاحة به"، جريدة الاتحاد الإماراتية، 2013/8/29، على الرابط:

http://www.aliithad.com/News_Print.php?ID=4891

²⁰ أوباما: لم اتخذ بعد "قرارًا نهائيًا" حول سوريا، بي بي سي عربي، (3 آب / أغسطس 2013)

http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2013/08/130830_syria_france_backs_us_on_action

ركز الخطاب الأميركي بعد صفقة الكيماوي على ضرورة التزام النظام التعاون مع منظمة حظر الأسلحة الكيماوية لتدمير مخزونه، وعلى ضرورة عقد مؤتمر جنيف 2، في أقرب موعد، لحل الأزمة سياسياً لا سيما بعد تضمينه في نص قرار مجلس الأمن رقم 2118. في تلك الفترة برزت تصريحات أميركية عدة، فسرها البعض تراجعاً أو تغييراً في الموقف الأميركي، فقد أشاد كيري بتعاون النظام في تسليم مخزونه وتدميره وفق ما نص عليه قرار مجلس الأمن، وقال كيري في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2013: "أعتقد أنّ هذا الأمر نقطة تسجل لنظام الأسد، بصراحة. هذه بداية جيدة ونحن نرحب بالبداية الجيدة. أعتقد أنّ هذه خطوة جديرة بالتقدير لنظام الأسد في استجابته سريعاً"²¹. لكن الخطاب الأميركي عاد ومع اقتراب جنيف 2 ليؤكد النقطة المتعلقة بمستقبل الأسد إذ أكد كيري في 17 كانون الثاني/يناير 2014: "أنّ الرئيس السوري بشار الأسد ليس له مكان في سورية المستقبل"²²، وصرح في 22 كانون الثاني/يناير 2014 أنه: "لا يمكن للأسد أن يكون جزءاً من المرحلة الانتقالية"²³.

ومع فشل جنيف 2، بدأ أن تغييراً بدأ يطرأ على قناعات كيري الذي كان مستاءً من فشل المفاوضات، والسلوك الروسي. وحسب مصادر متعددة، فإنّ كيري تزعم في تلك الفترة تياراً داخل الإدارة، يطالب بسياسة أكثر صرامة تجاه النظام السوري، بما في ذلك تسليح مقاتلين من المعارضة السورية، غير أنّ مطالبه هذه تجاهلها البيت الأبيض²⁴. واستناداً إلى عضوي مجلس الشيوخ الجمهوريين، جون مكين، وليندسي غراهام، فإنّ كيري قال في اجتماع ضمهما معه على هامش قمة الأمن في ميونيخ (ألمانيا) مطلع شهر شباط / فبراير 2014، إنّ السياسة الأميركية لا تعمل في سورية، وإنّ النظام أفضل محادثات جنيف 2، وإنّه لم يلتزم مواعيد جدول تسليم أسلحته

²¹ "بعد تعاون الأسد في 'الكيماوي' هل تغير واشنطن موقفها من النظام؟"، التلفزيون الألماني، 2013/10/9، على الرابط:

<http://bit.ly/1FgEF9u>

²² "كيري: الأسد ليس له مكان في سوريا المستقبل"، بي بي سي عربي، 2014/1/17، على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/01/140117_syria_kerry_opposition_assad

²³ جون كيري: الأسد لا يمكن أن يكون جزءاً من المرحلة الانتقالية"، بي بي سي عربي، 2014/1/22، على الرابط:

<http://www.bbc.co.uk/news/undefined>

²⁴ "في غمرة البحث عن خيارات في سوريا.. أميركا تعزف عن اللجوء للقوة"، رويترز، 2014/2/19، على الرابط:

<http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAEA1105920140219>

الكيماوية، وإنّ روسيا مستمرة في تسليح النظام السوري²⁵. ونسب الرجلان إلى كيري قوله بضرورة أن تعيد الولايات المتحدة النظر في تسليح قوات المعارضة بـ "أسلحة قاتلة"، وهو ما سارع كل من البيت الأبيض والخارجية الأميركية إلى نفيه حينها²⁶.

على أي حال، فإنّ الولايات المتحدة لم تغير من خطابها في ما يتعلق بحل الأزمة، حتى بعد قرارها في 27 أيار/ مايو 2014، زيادة دعم المعارضة وتزويدها بأسلحة "قاتلة"، بل أصرت على أن "لا حل عسكري للصراع". ففي خطابه الشهير والذي ألقاه أمام أكاديمية "ويست بوينت" العسكرية في نيويورك، حُصص للسياسة الخارجية الأميركية، قال أوباما: "سأعمل مع الكونغرس لزيادة الدعم للمعارضة السورية التي تقدّم أفضل بديل من الرئيس بشار الأسد وأفضل بديل من الإرهابيين". وأشار أوباما إلى "مواصلة العمل بجانب الحلفاء في أوروبا والعالم العربي للضغط من أجل حل سياسي للأزمة السورية". ورأى أنه "بقدر ما يبدو الأمر محبطاً، ليس هناك جواب سهل، ولا حل عسكري يمكن أن يوقف المعاناة في مستقبل قريب"²⁷. وعاد أوباما وكرر الموقف ذاته بعد تشكيل تحالف دولي لمواجهة تنظيم الدولة في سورية والعراق، ومن جديد حسم الجدل حول ما طرح في بعض الأوساط الأكاديمية عن ضرورة فتح قنوات تواصل وإقامة تعاون مع النظام لمواجهة الإرهاب. ورأى أوباما (17 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014) في ختام قمة العشرين التي عقدت في أستراليا أنّ "تحالفاً مع الرئيس السوري بشار الأسد سيؤدي إلى إضعاف التحالف الدولي الذي يحارب تنظيم الدولة، وأنه سيدفع مزيداً من السنة في سورية باتجاه دعم التنظيم". وإذا كان أوباما استبعد التوصل إلى حل للأزمة يتضمن بقاء بشار الأسد في السلطة فإنه أقرّ أنّ ما سمّاه "طبيعة الدبلوماسية" تحتمّ أن تتعامل واشنطن في نهاية المطاف مع بعض خصومها لإحلال

²⁵ Jeffrey Goldberg, "Kerry Tells Senators That Obama Syria Policy Is Collapsing", *Bloomberg*, February 3, 2014, at: <http://bit.ly/1NDAhDC>; Josh Rogan, "Senators: Kerry Admits Obama's Syria Policy Is Failing", *The Daily Beast*, February 3, 2013, at: <http://www.thedailybeast.com/articles/2014/02/03/senators-kerry-admits-obama-s-syria-policy-is-failing.html>

²⁶ Lesley Wroughton, "Obama administration disputes Republicans' account of U.S. policy on Syria", *Reuters*, February 3, 2014, at: <http://www.reuters.com/article/2014/02/04/us-syria-crisis-kerry-idUSBREA1302Q20140204>

²⁷ "أوباما لزيادة دعم المعارضة السورية: لا حل عسكرياً"، *العربي الجديد*، 2014/5/28، على الرابط: <http://bit.ly/113Wxlg>

السلام في سورية²⁸، من دون أن يحدد الخصوم المعنيين بحديثه؛ هل هي روسيا، أم إيران والنظام. وفي مؤتمر مكافحة الإرهاب الذي دعت إليه الولايات المتحدة بعد هجمات شارلي إبيدو في باريس، والذي عقد في واشنطن 20 شباط/فبراير 2015، أشار أوباما إلى "أنّ حرب الأسد ضد شعبه تعدّ أحد أسباب تأجيج الطائفية، وأنّ الطائفية هي أحد أهم مسببات الإرهاب"²⁹.

تصريحات كيري.. هل من جديد؟

ظلت التصريحات الأميركية ضمن الإطار السابق، حتى جاءت تصريحات كيري في مقابله مع قناة (سي بي إس نيوز) الأميركية، والتي قال فيها إنّ الرئيس السوري، بشار الأسد، ينبغي أن يكون طرفاً في أي مفاوضات مستقبلية لإيجاد حل دبلوماسي للصراع السوري. وقد أثارت تلك التصريحات جدلاً واسعاً حول ما إذا كانت زلة لسان، أم إنّ الأمر أوسع من ذلك، ويشير إلى تغيير في المقاربة الأميركية للوضع السوري برمته، والتي كانت تصر دوماً على أنّ الأسد "فقد شرعيته". وقد استدعت تصريحات كيري رفضاً واسعاً واستياءً كبيراً من بعض الحلفاء الأميركيين، وتحديداً فرنسا وتركيا والائتلاف الوطني السوري، خصوصاً في ظل وجود قلق من أن تسعى الولايات المتحدة إلى استرضاء إيران في المفاوضات النووية معها عبر البوابة السورية.

وكان كيري قد قال لبرنامج "واجه الأمة" الإخباري على قناة "سي بي إس نيوز" الأميركية، والذي بث في 15 آذار/مارس: "نعمل بجد مع أطراف أخرى مهمة لنرى إن كان ثمة إمكانية للتوصل إلى حل دبلوماسي. لماذا؟ لأنّ الجميع يقرّ بأنّه لا يوجد حلّ عسكري. هناك حلّ سياسي فقط. لحث نظام الأسد على التفاوض يجب أن نوضح له أنّ الجميع مصممون على بلوغ هذه النتيجة السياسية وتغيير حساباته بشأن التفاوض. هذا ما يتّم حالياً. وأنا مقتنع أنه بجهود حلفائنا وغيرهم ستتزايد الضغوط على الأسد". وعندما سألتها الصحفية: "هل

²⁸ "أوباما يؤكد فقدان نظام الأسد للشرعية ويرفض التعاون معه لمواجهة «داعش»"، الشرق الأوسط، 2014/12/17، على الرابط: <http://bit.ly/1IIRBLr>

²⁹ "أوباما: الأسد هو سبب الإرهاب"، وحدة جنيف الإعلامية في الائتلاف الوطني السوري، 2015/2/20، على الرابط: <http://bit.ly/1CARGtm>

يعني هذا بأنك مستعد للتفاوض معه؟" أجاب كيري: "في النهاية ينبغي أن نتفاوض"³⁰.

وأشار كيري في تصريحاته إلى أنّ الولايات المتحدة ودولاً أخرى تعكف حالياً على محاولة إعادة إطلاق محادثات سياسية جديدة للتوصل إلى حلّ دبلوماسي للصراع في سورية ضمن "إطار مؤتمر جنيف 1" لعام 2012. ومن المعروف أنّ مؤتمر "جنيف 1" انطلق من أرضية تشكيل هيئة حكم انتقالية تؤسس تغييراً طويل الأمد في سورية، غير أن بنود ذلك المؤتمر بقيت غامضة في ما يتعلق بمصير الأسد، وهو ما سمح للأسد وداعميه في إيران وروسيا بالتأكيد دوماً أن الأسد ينبغي أن يكون على رأس أي مرحلة انتقالية، في حين كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها يصرون على أنّه لا مكان للأسد في سورية الجديدة.

أمام ردات فعل حلفائها الغاضبين، حاولت الإدارة الأميركية امتصاص الأزمة الدبلوماسية التي تترتبت على تصريحات كيري، وذلك عبر التأكيد أنّ المقاربة الأميركية ما زالت على حالها من أنّ الأسد فاقد للشرعية، وأنّ الولايات المتحدة لن تتفاوض معه مباشرة. فبحسب الناطقة باسم الخارجية الأميركية، جين ساكي، فإنّ كيري عني أنّ الولايات المتحدة تقبل أن يكون هناك مشاركة لممثلين عن نظام الأسد من ناحية عملية، غير أنه من المستحيل أن يشمل ذلك الأسد. مضيئة: "ما زلنا نعتقد أنه لا يوجد مستقبل للأسد في سورية" وأن كيري لم يقصده شخصياً بتصريحاته. كما ناقضت ساكي رئيسها المباشر، كيري، وذلك عندما قالت إنّ لا توجد ترتيبات لعقد محادثات جديدة الآن "ولا توجد عملية على وشك أن تبدأ"، وإن كانت أقرت بوجود "مناقشات عديدة" تجري مع الروس إضافة إلى شركاء أوروبيين وعرب³¹.

أما مساعدة الناطقة باسم وزارة الخارجية، ماري هارف فقالت، إنّ: "جون كيري أعاد التأكيد على سياسة قديمة وهي أننا بحاجة إلى عملية تفاوض مع النظام على الطاولة"، لا مع الأسد نفسه³². وهو ما أكدّه أيضاً الناطق باسم البيت

³⁰ "Face the Nation Transcripts, March 15, 2015: Kerry, Cotton, Manchin", *CBS News*, March 15, 2015, at: <http://www.cbsnews.com/news/face-the-nation-transcripts-march-15-2015-kerry-cotton-manchin/>

³¹ مات سبيتالنيك، "مسؤولون أمريكيون: لا مكان للأسد في محادثات سوريا"، رويترز، 2015/3/16، على الرابط: <http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN0MC2F120150316>

³² Michael R. Gordon, "Kerry Suggests There Is a Place for Assad in Syria Talks," *The New York Times*, March 15, 2015, at: http://www.nytimes.com/2015/03/16/world/middleeast/kerry-suggests-there-is-a-place-for-assad-in-syria-talks.html?_r=0

الأبيض، جوش إيرنست، بقوله: "لقد كان يشير إلى حقيقة أنّ نظام الأسد ينبغي أن يكون على طاولة المفاوضات مقابل عناصر من المعارضة المعتدلة لمحاولة التوصل إلى ترتيبات حول حل سياسي انقالي في سورية"³³.

غير أنه من الصعب تصور أن تصريحات كيري هي زلة لسان فحسب، حتى وإن لم يعن فعلاً التفاوض مع الأسد مباشرة شخصياً. فعدا عن أنّ الرجل سياسي ودبلوماسي متمرس، فإنّ تصريحاته تبدو متنسقة إلى حد كبير مع الموقف الرسمي لإدارة أوباما وتصريحاتها السابقة، والتي تدعو الأسد إلى التثني عن الحكم منذ آب/أغسطس 2011، دون أن تقوم بأي خطوة ذات معنى لإرغام الأسد على الخروج من المعادلة. وبقيت مقارنة إدارة أوباما في الملف السوري، وإلى اليوم، أسيرة التردد والارتباك وغياب الرؤية، وهو ما وتر علاقاتها مع بعض من أقرب حلفائها، كالمملكة العربية السعودية وتركيا.

فعلى الرغم من فشل مؤتمرين في جنيف (جنيف 1 في حزيران / يونيو 2012، و جنيف 2 في شباط / فبراير 2014) واللذين كانا مدعومين من واشنطن وموسكو في محاولة لاجتراح حل سياسي، يفضي إلى هيئة حكم انتقالية تسمح بانفراج سياسي، وهو المسار الدبلوماسي الذي راهنت عليه واشنطن كثيراً، فإنّ ذلك لم يدفع، إلى الآن، إدارة أوباما لحسم أمرها في الملف السوري والخروج من دائرة الحيرة والغموض في خياراتها.

وبسبب ارتباك مقارنة إدارة أوباما وغموضها في الملف السوري، فإنّ كثيرين من ناقدتها، داخل الولايات المتحدة وخارجها، اتهموها بالتسبب في خلق الفراغ الذي سمح لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" بالتمدد داخل سورية. أبعد من ذلك، فإنّ الاتهامات الموجهة لإدارة أوباما بغياب إستراتيجية شاملة للوضع السوري، ليست مقتصرة على ناقدتي إدارة أوباما داخلياً وخارجياً، بل إنها، أيضاً، شملت انتقادات ضمنية لمسؤولين رفيعين في إدارته، كما في المثالين السابقين في ما يتعلق بمحاولات بتريوس وضع خطة عام 2012، لتسليح المعارضة السورية "المعتدلة"، وما نسب لكيري من نقد لمقاربة الإدارة.

ويندرج في السياق ذاته ما كشفت عنه صحيفة نيويورك تايمز، العام الماضي، من أنّ وزير الدفاع السابق تشاك

³³ "Press Briefing by Press Secretary Josh Earnest," The White House, Office of the Press Secretary, March 16, 2015, at: <https://www.whitehouse.gov/the-press-office/2015/03/16/press-briefing-press-secretary-josh-earnest-3162015>

هيغل، كان قد بعث لمستشارة الأمن القومي الأميركية سوزان رايس، مذكرة "ناقدة جدًا" لمقاربة إدارة أوباما الإستراتيجية الكلية في سورية³⁴. وبحسب تقارير إعلامية أميركية، فإنّ تلك المذكرة ركّزت على ضرورة وجود "رؤية أكثر وضوحًا حول ما يمكن القيام به حيال نظام الأسد"³⁵، خصوصًا أنه من الواضح أنّ نظام الأسد يستفيد عمليًا من الهجمات الجوية الأميركية على "تنظيم الدولة" و"جبهة النصرة". فنظام الأسد الآن يوجّه قوته الضاربة نحو إضعاف من تصفهم واشنطن "بالمعارضة السورية المعتدلة" التي تعلن دعمها لها، ذلك أنّ القوة الجوية الأميركية كفته مؤونة التنظيمات الإسلامية الأكثر قوة والأفضل تسليحًا³⁶.

وعلى الرغم من كل الانتقادات من داخل إدارة أوباما ومن خارجها، أميركيًا ودوليًا، فإنّ البيت الأبيض بقي يردد دومًا أنّ الإستراتيجية الأميركية ضد "تنظيم الدولة" في العراق وسورية تسير بنجاح، وأتّه من غير الصحيح القول إنها تضعف "المتشددين الإسلاميين"³⁷ لمصلحة الأسد الذي يصر البيت الأبيض على أنه "لا يملك شرعية ليقود"³⁸.

³⁴ Mark Landler, "Obama Could Replace Aides Bruised by a Cascade of Crises," *The New York Times*, October 29, 2014, at: http://www.nytimes.com/2014/10/30/world/middleeast/mounting-crisis-raise-questions-on-capacity-of-obamas-team.html?_r=1

Also: Barbara Starr, "Hagel wrote memo to White House criticizing Syria strategy", *CNN*, October 30, 2014, at: <http://www.cnn.com/2014/10/30/politics/hagel-starr-syria-memo-white-house/index.html?iref=allsearch>

³⁵ Ibid.

³⁶ Landler, "Obama Could Replace Aides...".

³⁷ Doina Chiacu, "White House says Syria strategy working, policy on Assad clear", *Reuters*, October 31, 2014, at: <http://www.reuters.com/article/2014/10/31/us-mideast-crisis-usa-syria-idUSKBN0IK1PY20141031>

³⁸ Ibid.

خلاصة

ضمن المعطيات السابقة، يمكن القول إن تصريحات كيري الأخيرة، أو إن شئت فقل، التغيير في موقف كيري في السياق السوري، لا يمكن أن يؤخذ بمعزل عن الارتباك والتردد الذي يعيشه أوباما والدائرة الضيقة من مستشاريه في البيت الأبيض. فكيري، عملياً، في تصريحاته الأخيرة، أعاد طرح منطق أوباما بأنه من أجل تحقيق "انتقال سياسي في سورية"³⁹، فإنه لا بد من "وضع إستراتيجية بشأن الطريقة التي يمكننا عبرها إحداث تغيير فعّال في الحسابات في داخل البلد للحفاظ على سورية متماسكة"، ومن ثمّ فإنه "ستكون هناك خطوات مرحلية، يمكننا أن نأخذها لوضع مزيد من الضغط على نظام الأسد"⁴⁰. المنطق السابق، والذي طرحه أوباما العام الماضي، هو ما عاد كيري وأكدّه في تصريحاته الأخيرة، وذلك بقوله: "لحث نظام الأسد على التفاوض يجب أن نوضح له أنّ الجميع مصممون على بلوغ هذه النتيجة السياسية وتغيير حساباته بشأن التفاوض. هذا ما يتم حالياً"⁴¹.

أضف إلى ذلك أنّ إدارة أوباما اليوم جعلت محاربة "داعش" في العراق وسورية على رأس قائمة أولوياتها، وهي تؤكّد، صباح مساءً، أنّ قوات المعارضة السورية عاجزة، إلى اليوم، بل ولن يكون بإمكانها في المستقبل المنظور التصدي لها، فضلاً عن ملء أي فراغ يتركه سقوط نظام الأسد. وعليه، فإنّ إسقاط نظام الأسد ليس أولوية أميركية، وقد لا يكون على الأجندة الأميركية. وقد عبّر الناطق باسم البيت الأبيض، إيرنست، عن هذه الحقيقة في سياق تعليقه على تصريحات كيري الأخيرة، بالقول: "لكن كما هو معروف فإنّ على رأس قائمة أولوياتنا التعامل مع التهديد الذي يمثله المتطرفون والفوضى في الوقت الحالي"⁴².

وهكذا، وسواء أرادت إدارة أوباما أم لم ترد، فإنّ ما سبق أن حدّر منه هيغل أصبح حقيقة قائمة، فالضربات التي تشنها الولايات المتحدة على التنظيمات التي تصفها بالإرهابية في سورية، عززت وضع النظام الذي صرف جُلّ قوته العسكرية الضاربة لإضعاف المعارضة السورية التي تصفها واشنطن بـ "المعتدلة". بل إنّ الأسد،

³⁹ "President Obama's Bilateral Meeting with His Majesty King Abdullah II of Jordan."

⁴⁰ Ibid.

⁴¹ "Face the Nation Transcripts, March 15, 2015: Kerry, Cotton, Manchin."

⁴² "Press Briefing by Press Secretary Josh Earnest."

والذي تتسق الولايات المتحدة ضرباتها الجوية مع نظامه بشكل غير مباشر⁴³، أصبح يشعر، وفي ظل الدعم الإيراني والروسي اللامحدود له، وغياب إستراتيجية أميركية لإجباره على التتحي، بأنّ الولايات المتحدة لن يكون في وسعها إلا أن تقبل به، إن عاجلاً أم آجلاً، شريكاً في الحرب على "الإرهاب". دع عنك أنه قد تكون هناك تسويات إقليمية، تقدم على شكل أثمان أميركية لإيران لإغرائها بتوقيع اتفاق نووي تريده إدارة أوباما بإلحاح، وإن كان من الأرجح أن تبقى إدارة أوباما مصرّة على رحيل الأسد وبقاء نظامه، بعد إدخال تحسينات عليه، وذلك عبر إدماج بعض عناصر المعارضة وأطرها فيه. غير أنه وفي كل الأحوال، فموقف الإدارة واضح، وهو أنها لا تريد انهيار النظام بكليته، ذلك أنها لا تريد تكرار نموذجي الفوضى اللتين سادت، في العراق، بعد الغزو الأميركي عام 2003، وفي ليبيا عام 2011، بعد سقوط نظام القذافي.

⁴³ "Official backs Assad claim of getting info on US airstrikes, WH denies coordination," *Fox News*, February 10, 2015, at: <http://www.foxnews.com/politics/2015/02/10/official-backs-assad-claim-getting-info-on-us-airstrikes-wh-denies-coordination/>